الفصل الرابع

الدّعوة واللغة العربية

اللغة العبرية هي لغة اليهود الأصلية التي كتبوا بها التوراة وما ألحق بها من كتب الأنبياء التي يسميها المسيحيون بالعهد القديم .

احتفظ اليهود بهذه اللغة ، والتزموها لأنفسهم أينما ذهبوا ، كما احتفظوا بعنصريتهم حيثما حلوا وارتحلوا .

لذلك سهل عليهم أن ينعشوا هذه اللغة التي كادت تذوب في محيط اللغات ، لولا تمكنهم من إنشاء دولة إسرائيلية في فلسطين بعد فرارهم منها منذ ألفي عام .

أما المسيحية : فلم تلتزم لغة معينة بعد المسيح ، وقد كان المسيح نفسه وتلاميذه من اليهود يتكلمون العبرية ، وبعد رفع عيسى تكلم أتباعه لغات من أُرْسِلوا إليهم ، فكتبوا الأناجيل بمختلف اللغات ، منهم من كتب إنجيله باليونانية ، أو العبرية ، أو الرومانية .

ولما احتضنت الإمبراطورية الرومانية هذه الديانة المسيحية ، وكانت لغتها الرسمية هي اللاتينية ، كُتِبَت الأناجيل الأربعة ورسائلها والتوراة باللاتينية ، فكادت المسيحية تساعد على انتشار اللاتينية تبعًا لانتشار الأناجيل ، لولا أن المسيحية لم تلتزم لغة معينة لنفسها[1] .

فقررت المجامع الدينية المسيحية أن تترجم الأناجيل إلى اللغات المختلفة وأن يبلغ المبعوثون بشارة المسيح بلغات القوم المبعوثين إليهم .

---

(١) آراء في اللغة ، ساطع الحصري ، ص ٦١ .

● الإسلام واللغة العربية

أما الإسلام فقد التزم العربية كل الالتزام ، فللعربية تاريخ متصل بالإسلام ، وللإسلام جذور عميقة في العربية ، وهي التعبد بتلاوة القرآن داخل الصلاة وخارجها ، والحج ، وأذكارها تقال باللغة العربية .

فقد فرض الإسلام على كل مسلم ومسلمة أن يؤدي صلواته خمس مرات كل يوم إمامًا كان أو مؤتمًا ، وأن يؤذن ويقيم ويكبر ويهلل ويتشهد باللغة العربية ، ورتب ثوابًا جزيلاً لكل من يقرأ القرآن بالعربية ، سواء فهم معناه أو لم يفهم ، فامتزجت العربية بالإسلام امتزاج الروح بالجسد .

واتفق علماء الإسلام - إلا قليل منهم - على عدم ترجمة القرآن على النحو الذي تُرْجِمت به التوراة والأناجيل ، حتى لا يدخله التحريف والتبديل ، بل يجب أن يبقى كما أنزل ، ينقل الدعاة معانيه إلى من يريدون من غير العرب ، فساعد القرآن على انطلاق العربية مع الإسلام من جزيرة العرب إلى ربوع آسيا وأفريقيا وأوربا في نصف قرن من الزمان ، فغلبت العربية على الرومية في الشام ، ونزعت القبطية من أهل مصر ، فأعطتهم نفسها .

وطاردت البربرية من شمال أفريقيا ، واحتلت مكانها ، وذلك كله من فضل التزام الإسلام للعربية ، لا من قوة فتوحات العرب لتلك البلاد .

أما البلاد التي في طريقها إلى الاستعراب قبل تدهور الإسلام ، فهي : الترك والهند والزنج ، فللمسلمين هناك لغاتهم المحلية ، إلى جانب العربية التي جعلوها رسمية للدين والدولة .

لا يدعو الإسلام كل مسلم إلى الاستعراب ، ولكنه يستحسن الوحدة العالمية عن طريق الإسلام ، ويقرر الوحدة الإنسانية على ضوء التفاهم التام بين جميع الشعوب والدول بالعربية ووضع لذلك مثالاً في مؤتمر الحج الأكبر ، الذي هو بمثابة هيئة الأمم الإسلامية المتحدة .

غير أنه يجب على الدعاة أن يتعمقوا في العربية ليستطيعوا الفهم المباشر من كتاب الله وسنة رسول الله ، ثم ليعملوا على نشرها بين الشعوب بسائر الوسائل الممكنة .

أما عرض الإسلام وشرحه ، وتفسير القرآن وترجمة معانيه إلى سائر اللغات المختلفة فأمر ضروري للدعوة الإسلامية في هذا الوقت الحاضر .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤) .

● كلام السلف عن اللغة العربية

روى شيخ الإسلام ابن تيمية حديثًا موقوفًا على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « تعلموا العربية فإنها من دينكم » .

وعنه أيضًا : « ما تعلم الرجل الفارسية إلا خب ، ولا خب إلا نقصت مروءته » والخب : الخيانة .

وروى عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يحسن أن يتكلم بالعربية ، فلا يتكلم بالعجمية فذلك يورث النفاق » .

وروى عن الإمام الشافعي أنه قال : ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها ، لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبًا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية إن كان أعجميًا[1] .

● ما يُستفاد من هذا الكلام

يُستفاد من هذا الكلام أن السلف الصالح ألزموا المسلم العربي أن يتمسك بالعربية ، ولا يتكلم بغيرها إلا للضرورة .

كما ألزموا الأعجمي المسلم أن يتعلم العربية ، ولو بالقدر الضروري للتعبد ، من غير أن يحرم عليه التكلم بلغته .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم .

أما العربي المسلم الذي يفضل لغة أجنبية على العربية ، فهو الذي ينطبق عليه النفاق المشار إليه في الحديث السابق .

قال ابن تيمية : « فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به ، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان ، فصارت معرفته من الدين وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله ، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين وأقرب إلى مشابهة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم[1] .

فالعربية لغة المسلمين جميعًا في العالم ، اشتركوا في وضع قواعدها من النحو والصرف والبلاغة .

وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس : إن الرب واحد وإن الدين واحد وليست العربية من أحدكم بأب ولا أم ، وإنما هي لسان فكل من تكلم بالعربية ، فهو عربي »[2] .

فبهذه القاعدة تعلم الأعاجم العربية حتى فاقوا فيها أبناءها ، فظهر من العجم ألوف من الأعلام في الفقه والأدب والحديث والنحو والبلاغة ، أمثال الإمام البخاري ، ومسلم ، وعبد الله بن المقفع ، وسيبويه ، والزمخشري ، والفيروزآبادي .

● فصل العربية عن الإسلام

من المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام في الظلام ، وتشكل خطرًا بالغ الخطورة على اللغة العربية ، هي مؤامرات فصل العربية عن الإسلام .

ولقد تعرضت العربية لحملات منظمة من التبشير الصليبي ، والاستعمار الغربي لنزعها من الألسنة وقلعها من الأفئدة ، لتحل محلها الإنجليزية والفرنسية في العالم الإسلامي .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم .

(٢) رواه ابن عساكر .

حارب المبشرون والمستعمرون العربية في العالم العربي أولاً ، ثم في العالم الإسلامي ثانيًا إذ دعوا المسلمين من غير العرب إلى تجريد الإسلام من العربية ، ليصير كالمسيحية التي لا تتقيد بلغة في طقوسها وصلواتها .

ودعوا المسلمين إلى نبذ التسامي بالعربيـة ، وزعموا أن ذلك من آثار التبعية ، ولقتل العربية فتحوا معاهد الاستشراق في جامعات أوربا وأمريكا وأفريقيا ، كإحدى اللغات الحية ، لا كلغة الدين الإسلامي ليصبح من يتخرج منها ملحدًا لا دين له ، كل ذلك ليتمكنوا من إضعافها بعد فصلها عن روحها وقوتها التي هي الإسلام .

فيجب على الدعاة في كل مكان أن يقفوا لمكائد الاستشراق بالمرصاد ، وأن يعملوا للحفاظ على حياة العربية للإسلام والقرآن ، بل عليهم أن يعملوا لنشر لغة القرآن في كل مكان .

فإن مسئولية ذلك تقع على أفراد الدعاة المتفرغين ، الذين حملوا على عاتقهم أمانة تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس .

ولا يتوهم الناظر السطحي أن المسئولية تقع على الحكومات والدول العربية ، بل هي مسئولية الدعاة أولاً وآخرًا .

فإن المبشرين هم الذين ساعدوا على نشر لغة المستعمرين ، بفتح المدارس التبشيرية ، يدرك هذه الحقيقة من تتبع حركات التبشير والاستعمار معًا في أفريقيا وأوربا وآسيا فإن المبشرين هم أصحاب الفضل الأول والأخير في نشر لغة فرنسا والإنجليز .

● مراكز نشر الدعوة في القديم

إن مراكز الدعوة عبارة عن الأماكن التي ينطلق منها دعاة الإسلام ، والمنابر التي ينبعث منها صوت الإسلام ، والمنارات التي يشع منها ضوءه إلى كافة الأرجاء ، وكانت هذه المراكز متعددة الأشكال والأنواع .

منها : الجوامع والمعاهد والزوايا .

أما المعاهد والجوامع ، فهي التي كانت تعد الدعاة على اختلاف أنواعهم ودرجاتهم من : علماء ، وفقهاء ، وخطباء ، ووعاظ .

ومن أهم ما يُذكر في ذلك :

١- الجامع العتيق الذي أنشأه عمرو بن العاص في الفسطاط سنة عشرين من الهجرة ، وقد درس في هذا الجامع الإمام الشافعي وتلاميذه ، وتخرج منه نخبة من الفقهاء .

٢- جامع القيروان : الذي أسسه عقبة بن نافع فاتح أفريقيا ، ولقد لبث منارًا للإسلام ردحًا من الزمان ، ينشر النور والهداية في جهات أفريقيا الشمالية والغربية .

٣- جامع القرويين ، وهو منسوب إلى القيروانيين وهم الذين هاجروا من الأندلس أيام حكم ابن هشام ، ونزلوا بالقطاع الشرقي من مدينة فاس ، وبنت لهم فاطمة بنت محمد بن عبد الله القيرواني جامعًا ، وذلك في منتصف القرن الثالث .

٤- الجامع الأعظم الذي كان الإمام أبو حنيفة يدرس فيه ببغداد .

٥- الجامع الأزهر الذي أنشأه جوهر الصقلي القائد الفاطمي سنة ٣٥٩هـ .

أرادوا به نشر المذهب الشيعي ، فأراد الله به نشر العلم والإسلام عمومًا ، وفضل الأزهر على الدعوة وبركته على الإسلام ثابت في الأذهان ، وماثل للعيان لا يحتاج إلى البيان .

٦- المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك في بغداد والبصرة ونيسابور سنة ٤٥٦هـ . وقد درس فيها الإمام الغزالي وغيره من جلة العلماء .

٧- جامع الزيتونة ، بنته امرأة المستنصر الحفصي سنة ١٣٨٣م بتونس ، وأصبح مركزًا هامًا للدعوة ، وارتفع شأنه في عهد «الباي أحمد» الذي

أوفد أحد وزراءه المسمى «خير الدين» إلى أوربا في القرن التاسع عشر ، ليدرس أساليب الحكم والتعليم ، ولما عاد أدخل الإصلاحات الشاملة إلى تونس ، ومن بينها إصلاح جامع الزيتونة ، حتى أصبح ينافس الأزهر .

أما الزوايا ، فهي تطلق على مسجد خاص بطائفة من الطوائف الصوفية ، يلازمها المريدون المنقطعون للعبادة والعلم ، على مثال أهل الصفة في زمن النبي ﷺ فقد تمكن بعض الغزاة أن يجيشوا في الزوايا جيوشهم .

ومن قبل قامت أمثال تلك المعاهد في أسبانيا ، واشتهرت جامعات قرطبة ، وطليطلة ، وأشبيلية ، والأندلس ، فدخلها أعلام لنشر العلوم ، وتخرج منها أعلام ، حتى اقتبس منها أهل أوربا علومهم .

وكذلك قامت في غرب أفريقيا جامعة «سنكري» في «تمبكتو» وغانا ، ومالي ، وكاشنة ، وكانو ، وزاريا ، ولكنها اندرست من أثر تقلبات الزمن وحوادث الدهر ، ولا ننس ما قامت به مدينة شنقيط من الحفاظ على اللغة والإسلام في غرب أفريقيا ، ولقد عرف العالم الإسلامي عدداً من الأعلام خرجوا من شنقيط آخرهم محمد حبيب الله صاحب «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» .

وفي الهند قامت مراكز عديدة نخص بالذكر منها : معهد «ديوبند» الذي أسسه الشيخ محمد قاسم التانوتوي سنة ١٢٩٧م .

ثم دار العلوم التي أسسها ندوة العلماء في لكنهو سنة ١٣١٦هـ ، وقد تخرج من هذه الدار فحول العلماء والدعاة الذين انتسبوا إليها ، منهم سليمان الندوي ، ومسعود الندوي ، وأبو الحسن الندوي ، ومحمد الحسني وأمثالهم .

ومن مراكز الدعوة في الهند دار التبليغ التي تأسست منذ سنة ١٩٢٠م على يد الشيخ محمد إلياس المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ، ثم قام بالعمل بعده نجله الشيخ محمد يوسف .

ومهمة هذه الدار هي تمرين الدعاة على تحمل المشاق في سبيل الدعوة على التطبيق العملي ، وقد أكثر الدعاة الكلام في الخطب والكتب فضعف العمل .

وقد ألف الشيخ كتاب «حياة الصحابة» في جزئين ذكر فيهما أساليب الصحابة في الدعوة إلى الله ، وكان أسلوب هذه الدار في تمرين الدعاة أن يخصصوا أربعة أشهر من كل عام للسياحة في البلاد على حسابهم الخاص ، يسيرون على أقدامهم ، وينزلون في المساجد ولا يتكلفون في المعيشة .

ومعهد أم درمان في «الخرطوم» قد تأسس سنة ١٩١٢م . وقام بخدمة نشر العلم على غرار الأزهر ، وقد نشر العلم في السودان وغرب أفريقيا .

وقامت في البيضاء بليبيا جامعة إسلامية أرادت أن تخدم العلم والدعوة ، ولكن نوائب الزمن قد حلت بها وحولتها إلى كليات مندرجة في جامعة ليبيا .

والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تأسست سنة ١٩٦١م أكبر جامعة إسلامية تنافس الأزهر اليوم في إعداد الدعاة والعلماء والوعاظ ، وفيها عدد كبير من طلبة العلم من الهند وباكستان وغرب أفريقيا .

● **المراكز الإسلامية في أوربا**

اتجهت أفكار بعض الدعاة إلى إنشاء أماكن في أوربا تكون مثابة المسلمين المغتربين ، وملجأ للطلاب الوافدين .

ولعل السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان وسعيد رمضان هم الذين فتحوا باب هذه الفكرة من ناحية .

ولعل - من ناحية أخرى - الذين دخلوا في الإسلام من أهل الغرب هم الذين أخرجوا هذه الفكرة لكي تخدم الإسلام في بيئاتهم ، لذلك توجد هذه المراكز في فرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وأمريكا ، وسويسرا ، والصين .

والمراكز الإسلامية عبارة عن مسجد للصلوات ، ومكتبة للمراجعات ، وقاعة للمحاضرات ، ومطبعة للمنشورات ، وساحة للرياضة البدنية ، ومستوصف للعيادة .

ولهذه المراكز خدمات جليلة في عرض الإسلام على الغربيين ، بالأسلوب المناسب لهم ، وفي تنوير أفكار الذين يقصدون أوربا للتعليم من أبناء المسلمين ، ويستطيع المسلم وغير المسلم أن يتصل بالمكان ليتعرف على ما يريد من أمور الإسلام .

ولقد نشطت جمعية الطلبة المسلمين في القيام بمهمة المراكز الإسلامية في أمريكا ، وكندا ، وإنجلترا ، وغيرها من البلاد الغربية ، ثم تفرعت جمعية الشباب الإسلامي العالمي من الطلاب المسلمين ، فقامت هذه الجمعية تتعاون مع تلك ، في الندوة العالمية للشباب الاسلامى WAMY في المملكة السعودية .

ولقد أسس بعض الدول العربية مراكز إسلامية إلى جانب سفاراتها في أوربا وأمريكا وأفريقيا لخدمة اللغة العربية والإسلام .

● دور الجمعيات الإسلامية في نشر الدعوة

الجمعية : هيئة مكونة من أفراد تجمعهم علاقة غير علاقة القرابة والجوار ، تربط بينهم غاية مشتركة في الدين والفكرة والسياسة أو الصناعة .

لم تكن الجمعيات تؤلف بين المسلمين على الصورة المعروفة اليوم ، مع وجود نص في القرآن يقول : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤) .

وإنما كان أهل العلم يتعاونون فيما بينهم للدعوة أو لنشر العلم ، وكانت الطوائف الفكرية ، كالمعتزلة والأشعرية والقدرية وغيرها تحل قديمًا محل الجمعيات الحاضرة ، كما أن الطوائف الصوفية : كالقادرية ، والشاذلية ، والجنيدية ، تعمل تحت قيادة موحدة كما تعمل الجمعيات .

وقد بدأت الجمعيات الإسلامية تظهر في العالم العربي والإسلامي على إثر دخول الهيئات التبشيرية بلاد العرب .

فقامت : جماعة العروة الوثقى برئاسة السيد جمال الدين الأفغاني .

ثم قامت : جمعية النهضة التي كان يرأسها الشيخ يوسف الدجوي من كبار علماء الأزهر .

ثم : جماعة الهداية الإسلامية .

ثم : جماعة مكارم الإخلاق .

وأخيرًا قامت : جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٢٧م برئاسة اللواء محمد صالح حرب ولا تزال تعمل في الميدان الاجتماعي والأدبي والديني .

وأكبر جماعة إسلامية عرفها التاريخ القديم والحديث ، جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها المرحوم الشيخ حسن البنا سنة ١٩٢٨م ، وتولى إرشادها وتربية أعضاءها على الأسس الإسلامية لتربية الفرد والمجتمع ، حتى صار كل فرد منهم مثالاً حسنًا للدعاة إلى الله ، لهم آثار طيبة على المجتمع المصري والسوري ، بل على العالم العربي في جميع المجالات الثقافية والسياسية ، وقد حملوا سلاح الجهاد في تحرير الوطن في : السويس ، وفلسطين وأضاءوا الطريق في المجال الفكري ، حتى أصبح الإسلام واضحًا للناس اليوم .

● الإخوان المسلمون والدعوة الإسلامية

لم يعرف التاريخ الإسلامي ـ بعد الرعيل الأول ـ منظمة أو جماعة كالإخوان المسلمين من حيثيات كثيرة من حيث فهم الدعوة ومن حيث التضحية والفداء .. ويستطيع المسلم أن يندمج في دعوة الإخوان من ثلاثة مصادر :

الأول : من لقاء الإمام حسن البنا والاجتماع به والاستماع إلى خطبه ومحاضراته .

الثاني : من الاطلاع على رسائله خصوصًا «مذكرات الدعوة والداعية» أو الاطلاع على مقالات الإخوان ومجلتهم الأسبوعية أو جريدتهم اليومية .

الثالث : من لقاء أفراد الإخوان الذين تربوا على يد الإمام البنا مباشرة .

ومن هذه المصادر مجتمعة أو منفردة يستخلص الباحث صورة كاملة لدعوة الإخوان كما وصفها الإمام البنا نفسه في قوله : «دعوة الإخوان دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية» .

ثم يجد الإنسان أن الإمام البنا قام لإصلاح الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي لإقامة دولة مسلمة ، ونجح نجاحًا باهرًا في إصلاح الأفراد المسلمة وهو في سبيله إلى إصلاح المجتمع الإسلامي لإقامة دولة مسلمة فاستشهد قبل أن يصل إلى غايته .

وعندما يدرك الإنسان أن دعوة الإخوان دعوة إسلامية شاملة كاملة كما سبق ، فإنه يتحسر كثيرًا من عدم نجاحها في إقامة الدولة الإسلامية المنشودة في وقت أحوج ما يكون إليها المسلمون .

على حين أن الدعوات التي نجحت في القرن الماضي والحاضر أقل شمولاً وسموا من دعوة الإخوان سواء في ذلك الدعوات الدينية أو الدعوات السياسية .

ولقد نجحت دعوة محمد بن عبد الوهاب في الحجاز في إقامة الدولة السعودية الإسلامية هناك .

ونجحت دعوة ابن فوديو في إقامة دولة إسلامية «للفلانيين» في نيجيريا .

ونجحت دعوة محمد المهدي التي نجحت في إقامة دولة الدراويش في السودان العربي .

وذلك كله في القرن التاسع عشر الميلادي .

ويتعجب الإنسان من نجاح الدعوات السياسية المعاصرة في القرن العشرين حيث تغلبت الشيوعية على الحكم في روسيا بقيادة لينين عام ١٩١٧م .

واستطاعت الفاشية الوصول إلى الحكم في إيطاليا بقيادة موسوليني عام ١٩٢١م .

واستولت النازية على الحكم بألمانيا بقيادة أدولف هتلر عام ١٩٣٣م .

وكيف لا تستطيع الدعوة الإخوانية أن تصل إلى الحكم بقيادة حسن البنا أو بقيادة أحد أتباعه الذين تربوا على يده ليكملوا ما بدأ وليصلوا بالسفينة إلى ساحل السلامة في البلاد العربية الإسلامية مع أنها دعوة إسلامية صحيحة قامت منذ عام ١٩٢٨م .

بل تعرض الإخوان للقتل والتشريد والتشتت في البلاد على أيدي حكام مسلمين ولم يستطيعوا حتى الآن إقامة دولة صغيرة أو كبيرة مع تحمسهم لذلك .

وهل لنا أمل فيهم عاجلاً أو آجلاً ؟ (١)

سؤال تتحير الألباب في الإجابة عليه وتختلف الأجوبة باختلاف وجهات نظر المجيبين ، وسأحاول الإجابة على ذلك في وجهة نظري لعلها تنير الطريق وتساعد على النجاح إن شاء الله ، وتدلي بدلو في الدلاء .

● من أسباب نجاح الدعوة أو الفكرة

لا شك في أن النجاح يصحب الدعوة السماوية أو الفكرة الأرضية إذا توفرت لها الأسباب الآتية :

أولاً : إفهام المدعو هذه الدعوة أو الفكرة فهما صحيحًا شاملاً كاملاً حتى لا يطبقها المدعو تطبيقًا خاطئًا .

ثانيًا : تعميم هذا الفهم للمجتمع أو لفئة منه قادرة متحكمة على المجتمع كله .

ثالثًا : قدرة القائد الرشيد على تنظيم الفئة وتوجيهها إلى الهدف بحكمة وعناية رشيدة .

رابعًا : تحديد الزمن الكافي للتبليغ والتطبيق والتعميم والتنفيذ .

أما تطبيق الدعوة أو تنفيذ الفكرة فبأحد السبيلين :

إما أن يتدرج التنفيذ من طور إلى طور ومن جيل إلى جيل حتى يتم ذلك كما في فكرة الشيوعية التي بدأت من قرون إلى أن طبقت أخيرًا في القرن العشرين .

---

(١) لقد نجحت فكرة الإخوان المسلمين أخيرا في مصر عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م حيث فازوا في الانتخابات البرلمانية والانتخابات الرئاسية تمهيدا لإقامة دولة إسلامية .

وإما أن يتغير الوضع دفعة واحدة بالانقلاب الثوري .

والانقلاب الثوري ، إنما ينجح بالمدد السماوي كما في الدعوات السماوية أو ينجح بالتنظيم السري الذي يعقبه الانقلاب كما في الدعوات الأرضية ، ولا بد لهذا وذاك من مراحل .

● مراحل دعوات الرسل

اجتازت دعوات رسل الله مراحل متعددة تناسب كل مرحلة ـ البيئة والمجتمع ـ منها ما اكتفى بمرحلة التبليغ والتوعية فقط ، ومنها ما اجتاز ذلك إلى مرحلة التطبيق بتغيير الأوضاع الفاسدة بالقوة والسلطان .

فالنبي نوح وصالح وشعيب ولوط ويوسف ويحيى ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لم يأمرهم الله بالقتال ، وإنما أوجب عليهم البلاغ المبين : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور:٥٤) ، (العنكبوت:١٨).

أما النبي إبراهيم وموسى وداود وسليمان ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ فقد اجتازوا مرحلة التبليغ والتوعية إلى مرحلة التطبيق ، واستعدوا بالجنود والعتاد وقاتلوا في سبيل الله وانتصروا فقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

لم ينهزم نبي قط أُمِرَ بالقتال في سبيل الله فقاتل لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ (غافر:٥١) فإذا ثبت أن نبيًا قُتِل فإنه لم يكن ممن أُمِرَ بالقتال إذ لو أُمِر بالقتال لنُصِر ، فيكون من الذين يحمل عليهم قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران:٢١) ، وإنما انتصر الأنبياء الذين قاتلوا في سبيل الله لأنهم أعلنوا القتال بعد كمال الاستعداد والعتاد وبعد تحديد الوقت الكافي ، ولعل قصر مدة النبي عيسى في حياته الأولى هو الذي منعه من حمل السلاح والقتال إذ قد ورد في أناجيل النصارى ما يدل على استعداده للقتال نذكره على سبيل الاستئناس لا على سبيل التصديق والاستشهاد .

جاء في إنجيل لوقا إصحاح ١٩ : «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» .

وفي الثاني والعشرين منه : «أنه أمر تلاميذه ببيع ثيابهم وشراء السيف» .

وجاء في إنجيل متى الإصحاح العاشر : «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا» .

لم يقاتل أتباع عيسى لأنهم لم يحتكموا على قوة .

ولما تحكموا على الدولة الرومانية أصلتوا سيوفهم على مخالفيهم وأوسعوهم قتلاً وتشريدًا .

وبالنظرة العابرة على التاريخ الإسلامي يرى الباحث أن النبي محمدًا ﷺ المرسل من عند الله والمؤيد بجنود من السماء اجتاز مرحلة التبليغ التي هي ثلاثة عشر عامًا طيلة مكوثه بمكة المكرمة ، وكان يقول لأصحابه عندما يؤذيهم الكفار : «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» ولم يأمر الله النبي بالقتال إلا بعد إقامة دولة إسلامية في المدينة وبعد التمكن من القوة المتحكمة ، أعلن القتال على أهل مكة وما حولها من الأعراب ، ولما انتصر عليهم بدأ في مواجهة الدول الكبرى كالفرس والروم وحلفاءهما .

فإذا قارن الباحث بين هذه الأوضاع وبين أوضاع الدعوة الإخوانية استطاع أن يحصل على ما يأتي :

أولاً : أن دعوة الإخوان حقًا ممتدة من الدعوة الإسلامية الأولى ولكن فهم الدعوة كما يريدها الإمام البنا على وفق دعوة الإسلام الأولى جديد على الناس لانقطاع صلتهم بها .

ثانيًا : أن المدة التي قامت فيها هذه الدعوة ـ من ١٩٢٨م إلى المدة التي دخلت فيها الحرب على الإنجليز وأمريكا وإسرائيل في حرب فلسطين ١٩٤٨م ـ عشرون عامًا ليست كافية لمواجهة تلك الدول لأنها أشبه شيء بمرحلة التبليغ والإعداد دون مرحلة التنفيذ والقتال .

ثالثًا : لم تستطع دعوة الإخوان السيطرة تمامًا على حكومة مصر في الداخل قبل أن تعلن الحرب على أعدائها من الدول الكبرى في الخارج استنادًا إلى أن فكرتها ودعواتها مرضية من الشعب المصري ومقبولة من الحكومة المصرية وليس الأمر كذلك .

رابعًا : لم يستطع الإخوان إقامة دولة في مصر أو في أي قطر لتتخذها قاعدة لها تنطلق منها إلى مواجهة الدول في الخارج ، ولم تحصل على مساندة أية دولة صغيرة أو كبيرة وافقتها مبدئيًا على تأييد الدعوة أو الفكرة أو على تحقيق المبدأ كما فعل آل سعود مع آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي نظري أن نسبة ما أصاب الإخوان من نكبات إلى هذه الأسباب أسلم من نسبتها إلى الدعوة نفسها أو إلى الله تعالى بدليل قول القرآن ﴿ **مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ (النساء:٧٩) .

وبعد ركود الإخوان في مصر قامت بدلها منظمات إسلامية في مختلف البلاد بنفس الهدف وبغير الاسم ، منها :

الإخوة الإسلامية في العراق .

وفي لبنان قامت جماعة «عباد الرحمن» في بيروت سنة ١٩٥٣ برئاسة الأستاذ عمر الداعوق أخرجت عددًا من النشرات الإسلامية التي تفيد الشباب .

واشتركت الدول الثلاث : مصر ، وباكستان ، السعودية ، في إنشاء هيئة دينية دولية تحت عنوان «المؤتمر الإسلامي» .

وتولى سكرتاريتها السيد محمد أنور السادات سنة ١٩٥٥ ، ولما سكنت ريحها قام مقامها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر ، واهتم بنشر القرآن في الأسطوانات وبطبع البحوث الإسلامية بمختلف اللغات ، ونشرها في العالم ، ولو لم يكن لهذا المجلس عمل غير هذا لكفاه فضلاً .

وفي سنة ١٩٦٢ قامت في مكة المكرمة «رابطة العالم الإسلامي» فكتب الله لها البقاء بفضل جهود العاملين فيها ، وببركة وجودها في جوار الحرمين الشريفين ، وقد عملت الرابطة على جمع المنظمات الإسلامية العالمية تحت راية واحدة ، مع تقدم المعونات إلى كل منظمة ، وأنشأت أخيرًا المجلس الأعلى للمساجد .

وفي السنغال ، وفي نيجيريا جمعيات عديدة تعمل في حدود إقليمها ومحيطها ، يحتسبون الأجر على الله .

وقد كثر عدد «المؤتمر الإسلامي» في مختلف أنحاء البلاد ، حتى قام «المؤتمر الإسلامي الدولي» الذي مقره الآن في جدة بالمملكة العربية السعودية ، فصار كل الصيد في جوف الفرا .

* * *